ثم خرجنا من هذه الغابة الى طريق مكشوف محاط من جهتيهِ بالادغال فسرنا بانحدار حتى اشرفنا على وادٍ عميق قيل لنا ان مسيرنا اليهِ . ويقال لهذا الوادي وادي التشرشر فكرَّرنا الوداع لبلاد الغابات . قادتنا الطريق بين روابي وسهول خضراء ليس بها مزارع ولا اشجار الى الوادي المذكور بعد انحدار وعر المسلك وشديد العمق فالفينا الارض كثيرة القرى فسيحة المزدرعات ومررنا فيها على اكثر من خمسة انهر في اقل من مسير ساعة حتى وصلنا الى قرية بروروما فضربنا المضارب على مقربة من تلك القرية

ولا عجب من كثرة الانهار ان اعتبرنا ان وادي التشرشر وحدهُ يُحصِّل منهُ نصف كمية البن التي تباع في اسواق مدينة هرر فكل هذه البساتين يقتضي لها كمية كبيرة من الماء لريها ولا عجب ايضاً ان وجدنا هذا الوادي حاراً فلحرارتهِ سببان اولهما قلَّة ارتفاع نقطتهِ وثانيهما قربهُ من بلاد الصحراء التي سنصل اليها بعد مرحلتين . لذلك شعرنا اليوم بمتعةٍ بفرق حرارة الهواء هنا وبرودتهِ في محطَّة كوَّني بالامس وستكون محطاتنا التالية كلها حارة حتى نجتاز عرض الصحراء المحرقة وبلاداً بعدها بحرارة هذه التي اليوم نحن فيها الى ان نصعد جبال بالتشي (لهُ تابع)

عبدالله بن الفضل الانطاكي

نبذة للابوين قسطنطين باشا ب. م. ولويس شيخو اليسوعيّ

للكتَّاب الملكيين القدماء حظٌّ وافر في آداب العربيَّة لا يقلّ فيها عددهم عمَّن سواهم من فرق النصرانيَّة وليسوا دونهم بكثرة التآليف والتصانيف والترجمات من اليونانيَّة او السريانيَّة الى العربيَّة مع صحَّة النقل فيها . بل لكتبهم الدينيَّة اليوم شأن خطير عند العلماء لكونها اصحّ عقيدة واقوى حجَّة على دوام تعليم الكنيسة الكاثوليكيَّة

الَّا انَّ اكثر هؤلاء الكتبة الافاضل لا يُعلم من تاريخهم الَّا الشيء اليسير الذي لا يروي غليلاً ولا يشفي عليلاً . وممَّن بحثنا عن اخبارهِ في الكتب المطبوعة والمخطوطة وفي مكاتب الخاصَّة والعامَّة رجلٌ اشتهر قديماً بالفضل والعلم وعُرف بكثرة تعريباتهِ التي لم تزل تتداولها الايادي منذ قرون عديدة فلم نظفر لهُ بعد العناء الطويل الَّا

بمعلومات قليلة التقطناها التقاط الدراري الشيتة وها نحن نعرضها لقرّاء المشرق علّهم يزيدونا علماً بما وصلت اليه معرفتهم ولهم منّا الشكر الجزيل سلفاً . ثم نلحق هذا الفصل بتعداد ما يُعرَف لابن الفضل من التآليف والمعرّبات التي خدم بها الكنيسة والآداب العربيّة خدمةً جليلة قلّ ان يكون له فيها نظير

١ ترجمة عبد الله بن الفضل

﴿ اسمهُ ﴾ يؤخذ اسم صاحب الترجمة من مقدّمة تآليفه ومعرّباته العديدة فانهُ يُدعى غالباً بالشمّاس عبدالله بن الفضل الانطاكي . وربّما ورد اسمهُ بزيادة في التعريف فيسمّى الشمّاس عبدالله بن الفضل بن عبدالله الطران الانطاكيّ . فيتّضح بذلك انّ اباهُ كان اسمهُ الفضل وانّ جدّهُ عبدالله دخل بعد زواجه الكهنوت كعادة الشرقيين ثمّ رُقّي الى رتبة المطرانيّة بعد موت امرأته او بعد انفصاله عنها . وصار حفيدهُ شمّاساً وليس لدينا دليل على انتظامه في سلك الكهنة

وممّا جاء في بعض النسخ انّ عبدالله كان يُلقّب بابي الفتح ولا يُراد بذلك انهُ كان متزوّجاً ولهُ ولد يدعى الفتح وان كانت درجة الشمّاس لا تمنع الزواج قبل الرسامة وانّما النصارى الشرقيّون اعتادوا استعمال هذه الالقاب للدلالة على رفعة مقام صاحبها لا غير كما ترى في اسماء غيره ممّن لم يرتبطوا بقيد الزواج كابي الفرج ابن العبري اليعقوبي وابي الحليم ايليّا النصطوري وابي البركات القبطي وغيرهم من الاساقفة الذين عاشوا متبتّلين

﴿ وطنهُ ونحلتهُ ﴾ كان عبدالله بن الفضل من انطاكية . وكانت تلك المدينة حينئذٍ من حواضر الشرق وصفها الكاتب النصرانيّ ابن بطلان الطبيب المعاصر لابن الفضل الانطاكي في رسالته الى ابن الحسين هلال بن المحسن الصابئ لمّا زارها سنة اربعين واربعمائة للهجرة (١٠٤٨ م) قال (اطلب معجم البلدان ١ : ٣٨٣) :

« انطاكية بلد عظيم ذو سور وفصيل وسوره ٣٦٠ برجاً يطوف عليها بالنوبة ٤٠٠٠ حارس . . . يضمنون حراسة البلد سنةً ويُستبدَل بهم في السنة الثانية . وشكل البلد كنصف دائرة قطرها يتّصل بجبل والسور يمتد مع الجبل الى قُلّته فتمّ دائرة (كذا) وفي رأس الجبل داخل السور قلعة تبين لبعدها من البلد صغيرةً وهذا الجبل يسترعيها الشمس فلا تطلع عليها الّا في الساعة الثانية . وللسور المحيط بها خمسة ابواب وفي وسطها بيعة القُسّيان وكانت دار قُسيان الملك الذي احيا ولدهُ قُطرس رئيس الحواريين وهو هيكل طولهُ مئة خطوة وعرضهُ

ثمانون وعليهِ كتيبة على اساطين وكان يدور الهيكل اروقة يجلس عليها القضاة للحكومة وتعلّمهم (لعلّها: معلّمو) النحو واللغة . وعلى احد ابواب هذه الكتيبة فنجان ١ للساعات يعمل ليلًا ونهارًا دائمًا اثنتي عشرة ساعة وهو من عجائب الدنيا وفي اعلاه خمس طبقات في الخامسة منها حمّامات وبساتين ومناظر حسنة تمرّ منها المياه وعلّة ذلك انّ الماء ينزل عليها من الجبل المطلّ على المدينة . وهناك من الكنائس ما لا يُعدّ كلُّها من الذهب والفضّة والزجاج الملوّن والبلاط المجزّع . وفي البلد بيمارستان يراعي البطريرك المرضى قبل بنفسهِ ويُدخل الجذمين الحمّام في كلّ سنة فيغسل شعورهم بيدهِ ومثل ذلك يفعل . . . بالضعفاء كلّ سنة ويبثهم على خدمتهم الاجلّاء من الرؤساء والبطارقة الناس التواضع . وفي المدينة من الحمّامات ما لا يوجد مثلهُ في مدينة اخرى لذاذةً وطيبةً لأنّ وقودها الآس وما شاكلها تسعى سَيْحًا بلا كُلفة . وفي بيعة القيامة من المقدم المستحرزة ما لا يُحصى ولها ديوان لدخل الكنيسة وخرجها وفي الديوان بضعة عشر كاتبًا »

ووُفّي عبد الله بن الفضل الى درجة الشمّاس كما ترى في سياق القابهِ ونسبهِ . وهذا الاسم كان يُطلق في الغالب على الشمّاس الرسائلي او الانجيلي والظاهر انهُ لم يتجاوز هذه الرتبة مدّة حياتهِ كأنها وعليهِ لا صحّة لما قالهُ البعض بلا سندٍ بانهُ صار بطرانًا (٢ والذين ذهبوا الى هذا الرأي انّما خُدعوا بجدهِ عبدالله الذي تبطرَن كما سبق القول

امّا مذهب ابن الفضل الانطاكي فكان مذهب النصارى الملكيين كما يُرى من تآليفهِ لا سيّما كتاب المنفعة حيث يدافع عن رأي الملكيين ويدحض اقوال اليعاقبة والنسطورة . وهذا ممّا يلوح ايضًا من كلفهِ بالآباء اليونان واعمالهم فانّهُ قد نقل كثيرًا من تآليفهم الى العربيّة فلولا انهُ من الروم الملكيين لما شُغف بمصنّفاتهم وما سعى

---

١) الفنجان هنا كالبنكام او البنكان وهي الفاظ فارسيّة تدلُّ كلّها على ساعة مائية او مزولة (Clepsydre) كانوا يقيسون بها ساعات النهار والليل . قال القزويني في وصف القسطنطينية في كتابهِ آثار البلاد (ص ٢٠٧) : «وبها فنجان الساعات اتخذ فيهِ اثنا عشر بابًا لكلّ باب مصراع طولهُ شبر على عدد الساعات كلّما مرّت ساعة من ساعات الليل او النهار انفتح باب وخرج منهُ شخص ولم يزل قائمًا حتّى تمّ الساعة فاذا تمّت الساعة دخل ذلك الشخص وردّ الباب وانفتح باب آخر وخرج منهُ شخص آخر على هذا المثال

٢) راجع كتاب الآداب النصرانيّة

Dr G. Graf : *Die christlich - arabische Literatur* p. 68 (Diakon und spätere Metropolit ?)

بنشرها . ثمَّ انَّ في اسمهِ والقابهِ ما يصرّح بمذهبهِ فيُدعى « ابن الفضل الانطاكيّ الملكيّ »

﴿ زمانهُ واخبارهُ ﴾ قد اسعدنا الحظّ بعد البحث الطويل على معرفة زمن عبدالله بن الفضل الانطاكي وذلك في مقدّمات الكتب التي الّفها وعرّبها فاشار فيها الى بعض الأحداث التي يُستدلّ بها على عهدهِ . قال في مقدّمة سفر المزامير الذي استخرجهُ من اليونانيّة : « اعتنيتُ باستخراج معانيهِ من اللغة اليونانيّة الى العربيّة بالهام الله والتماس سيدي ابن زكريّا بن سلامة ولاجل منفعة النصارى »

وكذلك ورد لهُ في مقدّمة نكيّات القديس اسحاق ما حرفهُ : « نقلتُهُ من اليونانيّة الى العربيّة بالتماس سيّدي نيكوفور ابي النصر اللبيب المشهور » غير انّنا لم نجد لهذين الرجلين ذكرًا في التواريخ مع ما تصفّحنا من الكتب . فبقينا على ريب من زمنهِ الى ان اطّلعنا على كتاب آخر عرّبهُ الشمّاس ابن الفضل وهو كتاب القديس باسيليوس المعروف بالاكاميرون اي تفسير ستّة ايّام الخليقة ومنهُ عدّة نسخ قديمة كنسخة دير الخلّص ونسخة المكتبة الشرقيّة في كليّة القديس يوسف (المشرق ٧ : ٦٧٨) ففي صدر هذا الكتاب ما حرفهُ :

« كتاب تفسير ستّة ايّام الخليقة تأليف ابينا النبيل في القديسين باسيليوس الكبير وعدّة مقالاتهِ تسعة (كذا) وفصولهُ مائة وواحد وعشرون نقلهُ من اللغة اليونانيّة والروميّة الى اللغة العربيّة عبدالله بن الفضل الانطاكي وذلك في التاريخ الرابع من جملة السنين في عام ستّة الاف وخمسمائة وستين »

فالسنة ٦٥٦٠ هي سنة العالم على حساب الكنيسة القسطنطينيّة وهي توافق السنة ١٠٥٢ للمسيح . ومن ثمَّ يتعيَّن انَّ عبدالله بن الفضل الانطاكي ازهر في القرن الحادي عشر للميلاد لا الثاني عشر كما زعم الاب هيثرنا (Hyvernat) في معجم الكتاب المقدّس (Dictionnaire de la Bible 1, 850)

وقد وجدنا في تاريخ البطريرك مكاريوس للخوري ميخائيل بريك في الصفحة ٩٦ من نسخة المكتبة الشرقيّة ما نصّهُ :

« وبعد نيكفوروس صار يوحنا بطريركًا على انطاكية فهذا البطريرك انشأ خبر يوحنّا القس الدمشقي . وكان ذلك سنة ٦٥٩٣ للعالم ودبّر الرعيّة والكنيسة جيّدًا مدّة ٤٧ سنة وتنيّح . وفي زمان هذا البطريرك كان القديس الاجلّ الفاضل الشمّاس عبدالله بن الفضل ابن المطران الانطاكي

فخلّف للكنيسة مصنّفات كثيرة وبعد شيخوخة جيدة انتقل الى الرب بسلام في سنة ٦٥٦٠ للعالم (١٠٥٢م) كما يُذكر في فاتحة بهجة المؤمن »

لكنّ في قوله عن سنة وفاة ابن الفضل لنظرًا فانّنا راجعنا فاتحة بهجة المؤمن ولم نجد فيها ان صاحب الترجمة توفي سنة ٦٥٦٠ بل انهُ وضع هذا الكتاب في العام المذكور . وعليهِ فتبقى سنة وفاة ابن الفضل مجهولةً الى ان نجد في ذلك نصًّا صريحًا

﴿ علومهُ ومقامهُ ﴾ انّ الكلام الذي نقلناهُ آنفًا عن لسان البطريرك مكاريوس الحلبيّ يُشعر بان صاحبهُ يعتبر عبدالله الانطاكي كرجلٍ عظيم ذي علوم واسعة ومعارف جمّة . وكذا تجد في صدر الكتب التي ألّفها المذكور حيث يُنعَت بالقاب شرفيّة قلّما تُنسب الّا الى مشاهير الرجال وأعلام العلماء فتارةً يُدعى بالشيخ الاجلّ وتارة بالشمّاس النبيل وحينًا بالفيلسوف الاكمل . على انّ هذه الاسماء وما شاكلها ليست بكافيةٍ لتعريف مقام هذا الكاتب البارع فانّ في تآليفهِ وترجماتهِ نفسها لشواهد محسوسة تنبئ بسموّ فضلهِ . وممّا برّز فيهِ العلوم الكتابيّة فانّهُ لا يكتفي بنقل آيات الكتاب المقدّس الى العربيّة بل يضيف اليها من التفاسير ما ينوّه برفعة مقامهِ وسعة معارفهِ . وكذلك يظهر من تآليفهِ اللاهوتيّة انهُ كان مطّلعًا على اسرار اللاهوت ومشاكل المعتقدات الدينيّة على مثال علماء الدين . وكان ايضًا عالمًا بالعلوم الطبيعيّة والفلكيّة كما يلوح من تعليقاتهِ على كتاب ستّة أيّام الخليقة للقديس باسيليوس . ومن مزاياهُ حُسن ذوقهِ بانتخاب الكتب النفيسة لينقلها الى العربيّة . وقد قدّر النصارى خدمهُ فاكثروا من نسخ تعريباتهِ وتآليفهِ فلا تكاد تجد مكتبة كبيرة الّا تحتوي على قسم صالح من تآليف ذاك الهمام الفاضل

٢ آثار عبدالله بن الفضل

انّ الآثار التي صبرت على آفات الدهر لعبد الله بن الفضل لعديدة نقسمها الى اربعة اقسام زيادةً للوضوح . فنذكر اوّلًا تآليفهُ . ثمّ ترجمتهُ للأسفار المقدّسة . ثمّ تعريبهُ لاعمال الآباء ثمّ نقلهُ لكتبٍ شتّى (البقيّة لعدد آخر)